في رياض الشعر

﴿ لو يُفيد اللهف ﴾

لما نكبت الاستانة في العام الماضي بحريقها تألفت في مصر لجنة لجمع الاعانات للمنكوبين ، وأنفذت ولي الدين بك يكن الى حضرة السريّ الأمثل الخواجه حبيب لطف الله . فوفد عليهِ وليس بينهما معرفة من قبل . حدثنا ولي الدين قال : « تلقّاني ذلك الشيخ الجليل على الرحب والسعة وأدناني منهُ . ثم أعلمتهُ بحاجتي فانبسطت لها نفسه وجاد بخمسين جنيهاً مرتاحاً الى تلك الغاية النبيلة » فأبقت هذه المقابلة أثراً طيباً في نفس الشاعر حتى اذا فجع الخواجه لطف الله بزوجتهِ في الشهر الماضي ، رثاها بالأبيات الآتية وانما يذكر الانسان بحسناته :

بكتكِ عيونُ العلى وناح عليكِ الشرَفْ
لحى الله هذا الرَّدى فأيَّ الشموس كسفْ
أيعلمُ ماذا جنى أيعرفُ ماذا اقترفْ ؟
ألا تلفتْ مهجةٌ حمتْ مُهجاً من تَلفْ
ألا جلَّ فيها الأسى ألا عمَّ فيها الأسفْ
بكى الناس جوداً مضى وكان يحاكي السَّرَفْ
تُكتّمهُ جُهدَها ويعرفهُ من عَرَفْ
بهِ كَلفتْ دهرَها فزادَ ونعم الكلفْ
تواضعُ في عزّها وأترابُها في صَلفْ
وما حلَّ لطف الإلـــه ذا القلب الاَّ لَطَفْ
فكمْ لبكيٍّ رثى وكم لأسيٍّ عطفْ
لقد شَرُفَتْ بالسَّلَفْ وقد شرُفَتْ بالخلَفْ

وما ترفتْ نعمــةً　　وان نشأتْ في الترَفْ
أُفيضَ عليهــا الثنا　　ففاضَ الى أن وكَفْ
ولو أنهــا كفكفتْ　　ثناءَ الورى ما استكفْ
تخالَفَ في غيرهــا　　ولكنَّ فيهــا ائتلفْ
فصار لهــا كالحلى　　وباتَ لهــا كالتُّحَفْ
وما الوصفُ مدحاً إذا　　جرى الصدقُ فيما وَصَفْ
أيا دُرَّة المجــد قد　　رجعتِ لجوف الصدَفْ
فلهفاً لفقدك لو　　يُفيــدُ عليكِ اللهفْ

ولى الدين بكه

﴿ إلى شاعر الأمير ﴾

هذه هي القصيدة التي وعدنا بنشرها وبها يقرظ شاعرها المجيد قصيدة شوقي بك التي يقول في مطلعها :

العــام أقبل قم نُحيِّ هلالا　　كالتاج في هام الوجود جلالا

ويرى القراء في ختامها ان « شاعر الفيحاء » قد شاء مساجلة « شاعر النيل » فاذا رأى اميرُ الشعراء ان يفعل فمن حسن حظ الأدب وقراء الزهور :

حلَّق فكري في سماءِ الخيــالْ　　وساحَ في سُوح المعــاني وجالْ
وغاصَ والوجدُ له سائقٌ　　في أبحر الشعر لجني اللآلْ
فلم يجدْ أبدعَ من دُرَّة　　قد صاغها «شوقي» بنتِ الهلالْ
غارتْ لها الشمسُ وخافتْ بأن　　تُعلي على الأيام فضل الليــالْ
يا شمس فاستجدي الهلالَ الضيا　　فإنمــا حالُكِ للعكس حالْ
ألبسهُ « احمـد » في وصفـهِ　　نوراً على نورٍ ففاق المثــالْ

لا تُنكروا من أحمدٍ مُعجزاً إن قيل سحرٌ فهو سحرٌ حلالْ
سطورُ حسنٍ مشرقات السنا كأنها بعضُ ليالي الوصالْ
وتارةً تحكي عيونَ المها سواحرَ الدلِّ مواضي النصالْ
آياتها بيّنةٌ للنهى وقدرُها أرفع من أن يطالْ
هيهاتِ ما الاتيانُ من مثلها بسورةٍ الاّ ورا الاحتمالْ
تظهرُ من أحرُفِها هيبةٌ تشخّصُ الضرغامَ وسطَ الدِحال
فلو تحدَّى في البرايا بها داست على هام النهى بالنعالْ
هذا هو الشعرُ الذي تعتلي بمثل شأواهُ معالي المقالْ
في كل شطرٍ منهُ ثغرٌ غدا يفترُّ عن نظمِ اللآلىء الغوالْ
وكلُّ بيت حلَّه «يعربٌ» مطنّباً فوق الدراري العوالْ
فصاحةُ البدو على لفظهِ تسيل كالماء النمير الزلالْ
أما مغازيهِ فكم سلسلتْ بلاغةً فيها يهيمُ الخيالْ
سهلٌ على الأفهام لكنهُ ممتنع ان يُنتحى بالنضالْ
فيهِ مع الرقّةِ روحٌ وما ال أرواح بالتقليدِ مما ينالْ
يُعجزُ من جاراه مهما ارتقى فضلاً كمن حاولَ نيلَ المحالْ
وجاذِبُ الحسنِ لعمري لهُ معنىً يراهُ الذوقُ فوق الجمالْ

* * *

فيا أمير الشعر مهلاً فقد سلبتَ واللهِ شعورَ الرجالْ
كم لك من عذراء فكرٍ زهتْ كالروضِ وافي الزهر ضافي الظلالْ
فتنتَ أهل الشام في حسنها وفخرُ وادي النيل فيها استطالْ
رقّت فكانت كنسيم الصبا إذا تلوّناها على الغصنِ مالْ
إيجازُها رحبُ المعاني على زهوٍ كغمز اللحظِ من ذي الدلالْ

وجوهرُ الاطناب منهـا جلا　　عقودَ أجيـاد بهـا النور قالْ
اذا العقول العشر أبصرنهـا　　أصبحنَ من دهش بها في عقالْ
«والملك الضلّيل» لو رامهـا　　مُعـارضاً لم يجنِ الاّ الضلالْ
خفَّت على السمعِ وكم ضمَّنت　　معنىً بهِ استزرت رسوخ الجبالْ
لهُ على الألبـاب مع لطفهِ　　كالراح سلطـانٌ عظيمُ الجلالْ
يخـالهُ الطبعُ على أنسهِ　　ليثاً تبدّى من كناسِ الغزالْ
لذا تراني مضمراً رهبـةً　　ورغبتي تدفعني للسؤالْ
أودُّ إن تجريَ ما بيننا　　رسائلُ الشعر بملء السجالْ
وإن يكن ثمَّة فرقٌ فقد　　تُشبّـهُ البيض ببيض الرآلْ
وقصديَ الفخرُ فمـا أدَّعي　　أنيَ من فرسان هذا المجالْ
بل اجتلي نهجَ ابتـداعٍ بهِ　　ملائكُ الشعر عليكم عيـالْ
انير فكري باحتكاك الضيـا　　ما يُظهرُ الافندَ غيرُ الصقالْ
فإن اجبتم فهو لطفٌ وما　　للُّطفِ عن أهليـهِ قطُّ انفصالْ
وما عليكم حطـةٌ انمـا　　تواضعُ العالين عين الكمالْ

عبد المجيد الرافعي

﴿ رُسُل الثغور ﴾

وما شُربنا «الدخان» عيبٌ وانما　　قصدنا بهِ معنى قفوا وتأملوا
أدركناهُ فيما بيننـا فلعلَّنا　　الى ثمرٍ من نهوى بهِ نتوصلُ

نجيب زلزل